مُقدِّمةٌ في
السُّلوكِ وتزكيةِ النُّفوسِ

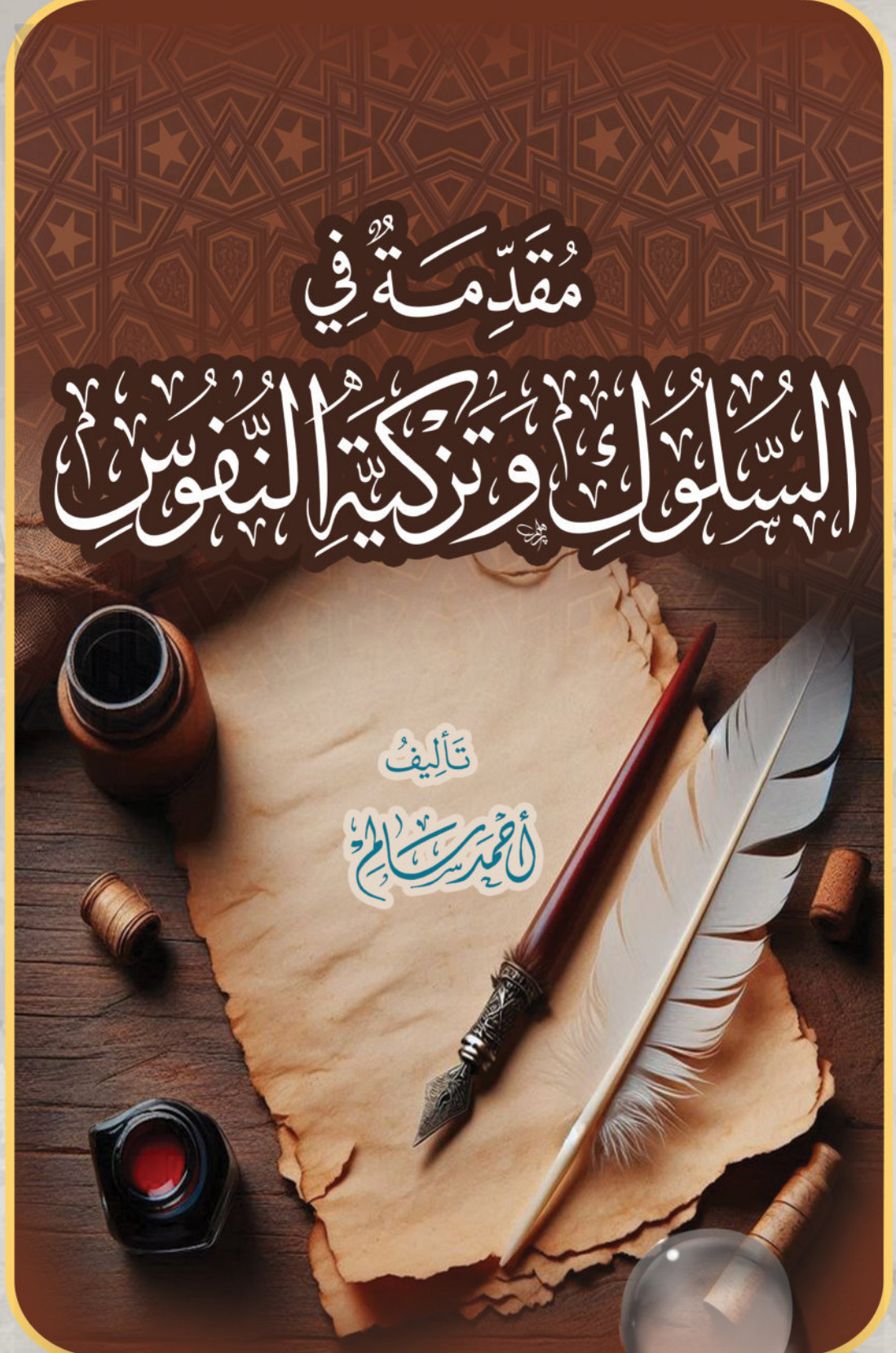

تأليفُ

أحمد سالم

"علم السلوك والتزكية من أجلّ علوم الشريعة قدرًا، وأعظمها نفعًا، بل هو لبُّ العلوم وروحها؛ إذ هو مقصودها الأعظم، وميزانها الأقوم، وعليه مدار القبول والحرمان، والتوفيق والخذلان، والهداية والضلال.

وسائر العلوم إن لم تكن موصلة إليه، كانت وبالًا على صاحبها وحجة عليه؛ وقد دلّت النصوص من الكتاب والسنّة على جلالة شأنه، وعظيم قدره؛ فهو العلم الذي تحصل به تقوى القلوب، وزكاة النفوس، واستقامة الجوارح، وبه يُنال اليقين، والتبصّر في الدين، وبه تتبيّن حقائق الفتن، وسنن الابتلاء، وتُعرف به أمراض القلوب وسبيل شفائها، ومداواة النفوس من عللها وأدوائها."

كتابنا هذا يمكن التعامل معه كوسيلة لتزكية النفس، كما يمكن اعتباره مقدمة علمية أساسية في علم السلوك والتزكية كفرع معرفي من فروع العلوم الإسلامية.

في كلا الحالتين، هو رحلة سنخوضها سويًا، نستعرض فيها النفس وأحوالها، وما يصلحها وما يفسدها، والقلب وأحواله، وما يصلحه وما يفسده، وكيف تزكو النفوس وتطهر القلوب وترق.

جعلنا أساسها كلام الله تعالى، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثار السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

أردناها أن تكون صاحبة لك في السفر، تعينك وتشد أزرك وتقوي عزمك.

وأردناها كذلك أن تكون مغنية لك عن بدع التصوف التي تريد أن تسلك بك نفس هذا الطريق لكن براحلة موسومة بالبدعة والإحداث في الدين، ولربما ما هو أسوأ مما ابتدعه بعضهم ولم يوافقه عليه غيرهم، وقد أغناك الله عن ذلك كله فاستمسك بالعروة الوثقي، والمحجة البيضاء، كتاب الله وسنة رسول الله، فلا عبادة ولا ذكر ولا ورد يكون أحسن من هدي محمد بن عبد الله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

أحمد سالم

فهرس المحتويات

الموضوع — الصفحة

مقدمة ٩
تمهيد: مقدمة في علم السلوك ١٣
المبحث الأول: مقدمات في علم السلوك ١٥
المبحث الثاني: السير إلىٰ الله تعالىٰ (تعريفًا وأهمية وتأصيلًا وتأليفًا) ٣٣
المطلب الأول: التعريف بالسير إلىٰ الله تعالىٰ وأهميته ٣٤
المطلب الثاني: تأصيل السير إلىٰ الله تعالىٰ ٣٨
المطلب الثالث: تاريخ التأليف في السير إلىٰ الله تعالىٰ ٤٥
المبحث الثالث: أحوال الغلاة في السير إلىٰ الله تعالىٰ ٤٩
المطلب الأول: تعريف التصوف ونشأته وموقف أهل السنة منه ٤٩
المطلب الثاني: مظاهر الغلو في مسائل السير إلىٰ الله تعالىٰ عند الصوفية ٥٤
المطلب الثالث: أسباب انحراف الغلاة في السير إلىٰ الله تعالىٰ ٦٧
المبحث الرابع: أحوال الجفاة في السير إلىٰ الله تعالىٰ ٧٧
المطلب الأول: مظاهر الجفاء في مسائل السير إلىٰ الله تعالىٰ ٧٧
المطلب الثاني: أسباب انحراف الجفاة في السير إلىٰ الله تعالىٰ ٨٥
المبحث الأول: مفهوم تزكية النفس وأهميته ٨٩
أولًا: مفهوم تزكية النفس ٩١
ثانيًا: أهمية تزكية النفس ٩٨
ثالثًا: مصادر تزكية النفس ١٠٥
رابعًا: معوقات تزكية النفس وأضدادها العدوة لها ١١٢
خامسًا: ثوابت لا بُدَّ منها لنجاح منهج التزكية ١١٦
المبحث الثاني: الأصول العلمية والعملية لتزكية النفس ١٢٧
أولًا: وجوب بناء تزكية النفس علىٰ الكتاب والسُّنَّة ١٢٩

عينة القراءة

الموضوع	الصفحة

ثانيًا: كمال هدي الصحابة ﷺ والاقتداء بهم ١٤٠
ثالثًا: الميزان بصواب العمل لا بكثرته ١٤٢
رابعًا: أهمية بناء تزكية النفس علىٰ العلم الشرعي ١٤٤
خامسًا: ما جاء في ذمِّ التعبد والتزكية علىٰ جهل ١٤٦
سادسًا: الدعوة إلىٰ تزكية النفوس من مقاصد بِعْثَة الرُّسُل ١٤٨
سابعًا: التوحيد أساس تزكية النفوس ١٤٩
ثامنًا: آثار التوحيد الحميدة علىٰ أهله في الدنيا والآخرة ١٥٢
تاسعًا: عناية علماء الإسلام والسنة بتزكية النفوس ١٥٤
المبحث الثالث: فقه النفوس وأحوالها ١٥٧
أولًا: خصائص النفس ١٥٩
ثانيًا: أحوال النفس البشرية ١٦٦
ثالثًا: صفات النفس الخلُقية والمطلوب منها ١٧٤
رابعًا: صفات النفس في القرآن الكريم ١٨٣
خامسًا: طرق تزكية النفس ١٨٥
سادسًا: أهمية التخلية ومعالجة الآفات النفسية والخلقية ١٩٧
سابعًا: محاسبة النفس ٢٠٠
ثامنًا: ثمرات محاسبة النفس ٢٠٨
تاسعًا: أهمية التوازن والاعتدال في قيادة النفس ٢١٣
المبحث الرابع: فقه القلوب ٢١٧
أولًا: أنواع القلوب ٢١٩
ثانيًا: صلاح القلوب وتزكية النفوس ٢٢٩
القسم الأول: الأعمال الظاهرة ٢٣٥
القرآن زاد النفوس ومعين تزكيتها ٢٣٧
ولذكر الله أكبر ٢٤٤
الصلاة نور ٢٤٩

عينة القراءة

الموضوع	الصفحة

الصوم جُنة ٢٦٢
الصدقة برهان ٢٦٧
التحلي بمكارم الأخلاق وحسن معاملة الناس ٢٧٣
القسم الثاني: الأعمال الباطنة ٢٨٣
رأس الأمر الإخلاص ٢٨٥
كونوا مع الصادقين ٢٨٩
يحبهم ويحبونه ٢٩٤
الذين يخشون ربهم ٣٠٧
الله نرجو ٣١٤
الصبر ضياء ٣٢٤
مراقبة الله تعالىٰ وإجلاله ٣٥٩
ولئن شكرتم لأزيدنكم ٣٦٤
إن الله مع الذين اتقوا ٣٧٣
الاستقامة في الباطن والظاهر ٣٩٤
وإنها لكبيرة إلا علىٰ الخاشعين ٣٩٧
حق اليقين ٤٠١
وعلىٰ الله فتوكلوا ٤٠٧
التوبة إلىٰ الله تعالىٰ ٤١٣
ثالثًا: أسباب رقة القلب ٤٢٣
السبب الأول: التعرف علىٰ الله جل وعلا ٤٢٥
مجمل أسماء الله ومعانيها ٤٢٧
السبب الثاني: تدبر القرآن العظيم ٤٣٧
السبب الثالث: تذكر الموت ٤٤٠
السبب الرابع: تذكُّر أهوال القيامةِ ٤٤٥
السبب الخامس: كثرة ذكر الله تعالىٰ ٤٥٠

عينة القراءة

الموضوع	الصفحة

السبب السادس: مطالعة السيرة النبوية وسير العلماء والصالحين ٤٥٢
السبب السابع: حضور مجالس العلم والذكر ٤٥٤
السبب الثامن: مجانبة الذنوب والمعاصي ٤٥٦
رابعًا: مفسدات القلوب ٤٦١
الكفر والنفاق والفسوق والعصيان والبدعة ٤٦٥
في الغدر وعدم الوفاء بالعهد ٤٦٨
في الشرك والرياء ٤٦٩
في حب الجاه والرياسة ٤٧٧
في الجهل والعي ٤٧٩
في الغل والحسد ٤٨١
في سوء الظن ٤٩٠
في العجب ٤٩١
في الكبر ٥٠٠
في الغفلة والقسوة ٥١٣
في الحرص والشح ٥١٩
في الغرور ٥٢٦
في الشك والارتياب ٥٣٥
في الشهوة والغضب ٥٣٦
في العشق ٥٥٥
التعلق بالدنيا ٥٥٨
في اتباع الهوىٰ ٥٦٦
ما جاء في علاج القلوب ٥٦٨
الخاتمة ٥٧١
المصادر الأساسية ٥٧٢

عينة القراءة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذ به تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحسَنَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وأحسَن الهَدْي هدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعَةٍ ضلالَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

خلق الله الخلق لعبادته وأعظم ما يعين المرء علىٰ عبادة الله والسير إليه تزكية النفس قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]

عينة القراءة

قال قتادة: «قد أفلح من زكىٰ نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال».

وقال ابن قتيبة في: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠]: «أي أخفاها بالفجور والمعصية فالفاجر دس نفسه أي قمعها وخباها وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها».

وقال الحسن البصري: «مَعْنَاهُ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ فَأَصْلَحَهَا وَحَمَلَهَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها: أَهْلَكَهَا وَأَضَلَّهَا وَحَمَلَهَا عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ».

وقال ابن تيمية: «والمقصود هنا أمر الناس بتزكية أنفسهم والتحذير من تدسيتها كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الأعلى: ١٤]».

وزكاة النفس وانشراح الصدر وهداية القلب من توفيق الله وهدايته ونعمته وكمال فضله علىٰ المؤمن قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] ومن فقد التوفيق من الرحمن وجد الخذلان من الشيطان قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] قال ابن كثير: «يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه».

فلا عاصم إلا من عصمه الله ولا موفق إلا من وفقه الله قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن رجب: «فالله سبحانه إذا أراد توفيق عبد وهدايته أعانه ووفقه لطاعته وكان ذلك فضلًا منه ورحمة وإذا أراد خذلان عبد وكله إلىٰ

عينة القراءة

نفسه وخلىٰ بينه وبينها فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطًا وكان ذلك عدلًا منه».

فينبغي للمؤمن أن يتعرض للتوفيق بالدعاء ولزوم الاستغفار والإنابة والإخلاص وأن يتبرأ من حوله وقوته ويستعيذ من الشيطان الرجيم. وقد بعث الله نبيه ﷺ لتزكية عباده

وإن الهادي البشير هو معلمنا وهادينا ومؤدبنا، حيث أدبه ربه فأحسن تأديبه حتىٰ خاطبه مثنيًا عليه، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

لذا حبَّب إليه القلوب، وقرَّب إليه النفوس فمالت إليه الأفئدة، ولما كان من أهم المهمات التي بُعث بها نبي هذه الأُمة هي تزكية النفس وتربيتها وتهذيبها كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩].

قال ابن عباس: «يَعْنِي بِالتزكية، طَاعَةَ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصَ».

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجُمُعَة: ٢].

فتزكية النفس اسم جامع لتطهيرها من المعصية ونماء خيرها بالطاعة، مع التأكيد علىٰ طاعات النفس غير الظاهرة وذنوبها علىٰ وجه الخصوص.

عينة القراءة

لأجل ذلك يأتي الحديث عن تزكية النفوس؛ لأن المقصد الأساسي من رحلة العبودية هو تطهير النفس والجوارح من الذنوب، وتنمية خير النفس بالعمل والطاعة.

وهذا الكتاب هو حلقة أخرىٰ من حلقات مشروع البداية، أرجو أن ينفع الله بها المبتدئين في التعلم وعامة المسلمين[١].

وكتب

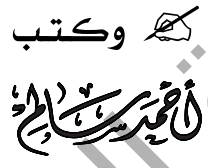

عينة القراءة

(١) **تنبيه**: إذا فاتني العزو للمرجع المنقول عنه، فهو من **المصادر الأساسية**(*) المذكورة في خاتمة الكتاب.

(*) وهي التي استُمد بناء هذا الكتاب منها، ليس لي فيه سوىٰ التأليف بينها.

تمهيد

مقدمة في علم السلوك

عينة القراءة

المبحث الأول: مقدمات في علم السلوك

كتابنا هذا يمكن التعامل معه كوسيلة لتزكية النفس، كما يمكن اعتباره مقدمة علمية أساسية في علم السلوك والتزكية كفرع معرفي من فروع العلوم الإسلامية؛ لأجل هذا اخترت هذه المقدمة التي كتبها: الشيخ عبد العزيز الداخل المطيري، وأضفتُ عليها لتكون عونًا لمن سينظر للكتاب من هذه الزاوية، إنه كتاب **في علم السلوك والتزكية علىٰ طريقة أهل السنة**.

إِنَّ من مهمات ما يحتاجه طالب كل علم أن يتعرّف معالم العلم الذي يطلبه، وهذه مقدّمات موجزة في علم السلوك أرجو أن تعرّف بمعالم هذا العلم الجليل، وتبيّن فضله وشرفه، وتعرّف بأصوله وفروعه، وغايته وثمراته، وطبقات أئمته، وطرائق عناية أهل العلم به، وتنوّع التأليف فيه وغير ذلك من المباحث التي تعين علىٰ استجلاء هذا العلم العزيز.

أولًا: فضل علم السلوك.

علم السلوك والتزكية من أجلّ علوم الشريعة قدرًا، وأعظمها نفعًا، بل هو لبُّ العلوم وروحها؛ إذ هو مقصودها الأعظم، وميزانها الأقوم، وعليه مدار القبول والحرمان، والتوفيق والخذلان، والهداية والضلال.

وسائر العلوم إن لم تكن موصلة إليه، كانت وبالًا علىٰ صاحبها وحجة عليه؛ وقد دلّت النصوص من الكتاب والسنّة علىٰ جلالة شأنه، وعظيم قدره؛ فهو العلم الذي تحصل به تقوىٰ القلوب، وزكاة النفوس، واستقامة الجوارح، وبه يُنال اليقين، والتبصّر في الدين، وبه تتبيّن حقائق الفتن،

عينة القراءة

الخاتمة

هذه رحلة خضناها سويًا، استعرضنا فيها النفس وأحوالها، وما يصلحها وما يفسدها، والقلب وأحواله، وما يصلحه وما يفسده، وكيف تزكو النفوس وتطهر القلوب وترق.

جعلنا أساسها كلام الله تعالىٰ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثار السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

وأردناها أن تكون صاحبة لك في السفر، تعينك وتشد أزرك وتقوي عزمك.

وأردناها كذلك أن تكون مغنية لك عن بدع التصوف التي تريد أن تسلك بك نفس هذا الطريق لكن براحلة موسومة بالبدعة والإحداث في الدين ولربما ما هو أسوأ مما ابتدعه بعضهم ولم يوافقه عليه غيرهم، فإنه يكثر في كلامهم أن تعيب كل طائفة ما عند أختها، وأن يشكو أئمتهم سوء حال متصوفة زمانهم، وقد أغناك الله عن ذلك كله فاستمسك بالعروة الوثقي، والمحجة البيضاء، كتاب الله وسنة رسول الله، فلا عبادة ولا ذكر ولا ورد يكون أحسن من هدي محمد بن عبد الله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر الأساسية

بخلاف ما تم له العزو في هامش الكتاب، فقد اعتمدتُ مجموعة من المصادر كان حظي هو التأليف بينها ما ما رأيت، ولأصحابها الفضل بعد الله في بناء هذا الكتاب، وهي:

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعد حوىٰ.

(٢) منهج الإسلام في تزكية النفس، محمد خير فاطمة.

(٣) منهج السلف في تزكية النفوس، سعدي بن حمود الشمري.

(٤) تزكية النفس ومعالجة الآفات، عبد الله بن محمد اليوسف.

(٥) منهج الإسلام في تزكية النفس، انس كرزون.

(٦) منهج الأنبياء في تزكية النفوس، سليم الهلالي.

(٧) الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

(٨) أسباب رقة القلب، عبد العزيز الفايز.

(٩) موسوعة الأخلاق الإسلامية، مؤسسة الدرر السنية.

(١٠) فقه القلب، أحمد سالم.

(١١) أعمال القلوب، خالد السبت.

عبلة الفراوي